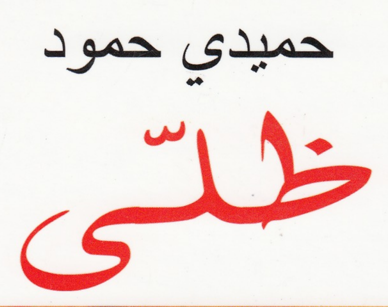
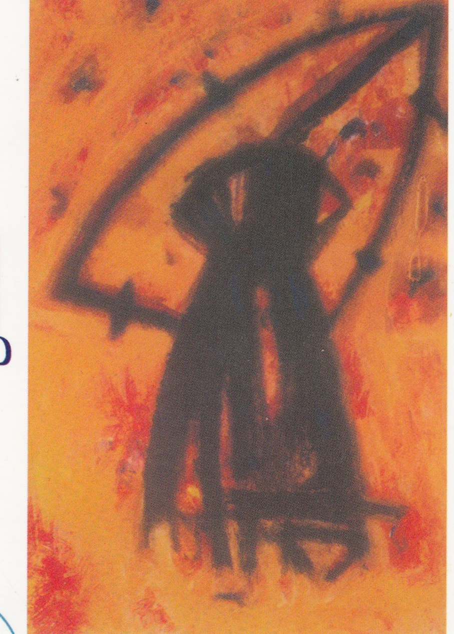




قصص



ظلّــــي

مؤسسة سندباد للنشر والإعلام

مؤسسة ثقافية تطرح مشروعًا ثقافيًا جادًا علـــى اعتبـــار أن الثقافـــة رسالة، من خلال تبني الإبداعات التجريبية الطموحة وتقــديمها دون قيد أو شرط، مع احترام حرية التعبير، وتقديم المواهـــب المتميـــزة للحركة الأدبية، ونشـــر الإبداع الجيد، والتعريف بالكاتب عبر وسائل الاتصال المختلفة، والدعاية الجادة للمنتج الأدبي.

الكتاب: ظلي ــ قصص

الكاتب: حميدي حُمود ــ الكويت

لوحة الغلاف للفنان الأردنى: خيري حرز الله

الطبعة الأولى: ٢٠١٠

الناشر: سندباد للنشر والإعلام بالقاهرة

مدير النشر: خليل الجيزاوى

الموقع: http://sendbad.net.ms/

المراسلة: khalilelgezawy@yahoo.com

للتواصل ت: ٠١٠٥٨٧٠٥١٤ ٠٠٢+

رقم الايداع: ٢٠١٠/١٥٣٣٥

الترقيم الدولي: ٨ ــ ٠٠٢ ــ ٧١٣ ــ ٩٧٧ ــ I.S.B.N:٩٧٨

حميدي حمود

ظلّـــي

مجموعة قصصية

سندباد للنشر والإعلام
القاهرة ٢٠١٠

إهداء (1)

إلى ...

وجهٍ طيّب حملني صغيراً واحتملني كبيراً

وروح لا تزال تهبني سكينتي

وسندي في الحياة... دمي

وشريكة حياة ... كل حياتي

إهداء (2)

إلى ...
نوركم الذي أنبت ظلّي

ظلي

من المفارقات أنّ أحلامنا تبدأ بظلام دامس

حميدي

رؤية مجنونة

رأيته واقفاً أمامي، ينظر إليّ كما أنظر إليه، لم ينبس ببنت شفة! و لم يُلقِ عليّ التحية، هكذا وبدون مقدّمات، كان أمامي جلياً واضحاً كما لم أره من قبل.

لقد اعتدت أن أراه بأشكاله المتعددة؛ فتارة يكون متأنقاً كأنه يستعد لحفلة أو لمناسبة رسمية، وتارة أخرى، أراه بصورته العفوية، كأن يكون مستيقظاً من نومه تواً.

شردت في عينيه وعدت بذاكرتي إلى الوراء حين كنا صغيرين، كان يلازمني مثل ظلي، بل كان أكثر من ذلك، فالظل لا يستمر إلا باستمرار النور،

بينما هو؟ هو معي أينما ذهبت وحللت. لم يكن هذا ليضايقني بتاتاً فلقد وجدت فيه الصديق الذي يتقبل مني كل ما أقوله مدحاً كان أو ذماً؛ كان صمته أجمل شيء فيه إلا أنه أحياناً كان يثيرني بهذا الصمت.

تذكرت مواقف كثيرة حدثت لي وهو معي، فمثلاً يوم خطّطنا للهرب من المدرسة، كانت الخطة أن نضع سلال القمامة الموجودة في فناء المدرسة مقلوبة تحت سور المدرسة المرتفع لنقفز عليها، وكان ذلك اليوم يوم البطولة في نظرنا فأطلقنا على شلتنا (أطفال الحجارة) تأثراً ومساندة لأطفال الانتفاضة.

– هيا اقفز، اقفز ولا تخف (هذا ما قرأته بوضوح من خلال بريق عينيه).

كان يشجعني على القفز، ويبثّ في نفسي الحماسة رغم خوفي من الوقوع، وخوفي من

الإقدام على فعل قد يكون له نتائج أسوأ من ألم الوقوع، ألا وهو أن يعلم والدي بما أقدمت عليه.

كان في شخصيته ما يحرجني أحياناً، فهو لا يحب أن يختلط بالناس في المناسبات الاجتماعية، ولا أن يخرج للتنزه مع الأصحاب، وغالباً ما كنت أجد الأعذار الواهية لي وله للتخلص من الحرج؛ فقد كان يصعب عليّ الذهاب بدونه.

كان وفياً... فلا أنسى كيف فضّل المكوث معي في المستشفى على الذهاب إلى حفلة التكريم التي أقيمت على شرف التخرج، وإيثاره السلام على والدي بدل السلام على راعي الاحتفال، فلم أره يبدي ندماً على ذلك الموقف بتاتاً.

- لماذا لماذا؟

هكذا صرخت متألماً حين قرّر المجازفة والذهاب لإكمال دراسته في الخارج، رغم أنني لم

أستغرب هذا منه فقد كان طموحاً قوي الإرادة في اتخاذ هذا القرار الصعب.

قال لي محتداً:

- ألا تريد لي الأفضل؟ ألا تحب أن أحقّق أمنية والدي؟

كلام نبع من قلبه امتزجت فيه المرارة وهو يتأسى على سنوات من عمره ضاعت بأمور تافهة.

أزمان كثيرة رأيتها في لحظات قصيرة تحتشد في عينيه، زمن الطفولة، الدراسة، الرحلات، الشقاوة، الغربة، الوحدة، الوظيفة، والزواج.

حين تمعّنت جيداً في حالته وتوهانه، أيقنت بأنه لم يعد يبالي بوجودي وكأنه لم يعد ذلك الصديق الذي رافقني... واستمع إليّ!

أثارني الأمر فصرخت به:

ـ هيييه أنت! ما بالك تنظر إليّ نظرة غريبة؟ كأنك لا تعرفني! وكأننا لم نكن يوماً أصحاباً!

كما توقعت، لم ينطق كعادته، بل نظر إلي نظرة ازدراء جعلتني أستشيط غضباً، مما دفعني إلى أن أرفع يدي وأهوي بها على خده بكل قوتي.

عندما أفقت، وجدت نفسي في غرفة المستشفى، تكسو مرفقي جبيرة بيضاء بعد إجراء عملية له من ثماني غرز، وعلى غلاف ملفي الذي نسيه الممرض قرأت تنبيهاً ممهوراً من قسم الشرطة يوصي بمراقبتي بشكل حازم تجنباً لمحاولة انتحار أخرى!

استعداد

يخبرها عن حبه لها كل يوم، يرسل رسائل الشوق وخطط المستقبل القريب لهاتفها النقّال. وكان أسعد يوم له حينما تقدم لخطبتها وتمت الموافقة.

هي كذلك كانت سعيدة به، وجدت فيه فارس أحلامها المنتظر.

رتّبا كل شيء تقريباً، لم يدعا شاردة أو واردة إلا وناقشاها واتفقا عليها.
كل شيء كان كالحلم بالنسبة لهما، لا يريدان أن يستيقظا منه إلا وهما على فراش واحد.

في المساء وهو عائد بسيارته من زيارة صديق

له في المستشفى، لمح على جانب الطريق خيمة عرس كبيرة جداً تزينها المصابيح بأنوارها الساطعة، فسطعت في رأسه فكرة، ابتسم وانحرف عن الطريق بسيارته تجاه الخيمة، وتوقف في مكان ليس ببعيد عنها، ثم تناول هاتفه النقّال وقام بأخذ صورة للخيمة وبعث بالصورة إليها مذيّلة بعبارة "الفال لنا قريباً إن شاء الله".

في الصباح التالي نُشر في الجريدة خبر "غريب" عن إلقاء قبض على عريس في ليلة عرسه بسبب إطلاق أعيرة نارية في الهواء أودت بشاب في سيارته.

التنفيس

ترجّل مُسرعاً من سيارته التي ركنها كيفما اتفق، كان سعاله حاداً قوياً يُنذر بقرب ما لا تُحمد عقباه؛ اتجه إلى شباك الاستقبال، أبرز هويته للموظف الذي قام بالتحقق منها، ومن ثم استخرج له ورقة طلب كشف أتبعها بورقة رقم دخول، سلّم له الورقتين مع الهوية... وظل سعاله مستمراً.

تلقف الورقتين والهوية غير آبه بكلام الموظف الذي تمنى له أن لا يكون الأمر خطيراً، وأسرع بخطى حثيثة باحثاً عن الخلاص.

السعال... مازال مستمراً وبشكل أسوأ.

من حُسن حظه أن صف الانتظار كان خالياً، طرق الباب فسُمح له بالدخول.

قال الطبيب مبتسماً:

- مرحبا بك، تفضل بالجلوس، كيف أخدمك؟

- يا دكتور، السعال سيقتلني، أشعر بأن روحي ستخرج من صدري.

- إهدأ، إهدأ، كل شيء سيكون على ما يرام.

بدأ الطبيب بفحصه واضعاً سمّاعته على صدره بعد أن أدخلها من تحت ملابسه، طلب منه أن يأخذ نفساً عميقاً ثم يُطلقه عدة مرات متتالية بطريقة منتظمة.

شهيق....... زفير.

شهيق....... زفير.

شهيق....... زفير.

- مُنذ متى وأنت على هذه الحال؟ أقصد والسعال يُصاحبك!

- مُذ عُدت ليلة البارحة من المقهى، لكنه - مُستطرداً- لم يكن هكذا حتى استيقظت هذا الصباح مخنوقاً، كدت أموت.

- أهه، إذاً هي (الشيشة) يا صديقي. قالها مُبتسماً.

طلب منه أن يستلقي على السرير لفحص شامل زيادة في التأكد والاطمئنان، وبعد قليل من الصمت الثقيل... قال وبكل ثقة

- إنها هي، ما زلتَ شاباً يافعاً فما الذي يدفعك إلى قتل نفسك ببطء بهذه السموم؟

- ومن قال إنها من السموم؟ بلا شك أنت تقصد السجائر.

- ههههه... أوَلا تعلم يا بُني بأن (الشيشة) أشد ضرراً من السجائر؟ هذا بالإضافة إلى رائحتها النتنة التي لا تـُطاق.

- بالعكس يا دكتور، أجمل ما فيها رائحتها ونكهاتها المختلفة.

قال الطبيب مُستهزئاً:

- إذاً ما هذه الرائحة النتنة الصادرة منك الآن؟

لم يحتمل ما قاله الطبيب.

نهض من السرير، دفعه بيده بعيداً، وانهال عليه بالسبّ والشتم المتقطع وسعاله الحاد.

خرج من دون أن يأخذ الوصفة الطبية.

الطبيب لم ينبس بكلمة، بل اكتفى بالجلوس على كرسيه مطفئاً غيظه بتدخين سيجارة.

أكياس ثقيلة

- وكيف أحببتها؟!!

نظر إلي مبتسماً وهو يتصفح مجلة كانت موجودة على طاولة أمامنا في بهو الفندق.

- هيا أجبني بالله عليك!

كان أحمد صديق الدراسة، شاباً وسيماً ذا بشرة حنطية وشعر ناعم كثيف أسود وعينين لم أرَ مثلهما في حياتي فكل عين بلون، واحدة عسلية والأخرى قريبة إلى الاخضرار، أنفه مستقيم وحاد كنصل السيف وشفتاه ممتلئتان بشكل جميل. كنا نطلق عليه الفتى العاشق، لم يأتِ هذا اللقب من فراغ؛ ورغم كل جماله المميز إلا أنه لم يكن

عاشقاً مخلصاً، فأقصى مدة قضاها مع فتاة لم تكن تتجاوز الشهرين، كانت مع الفاتنة عبير، تلك الفتاة التي كانت محور أحاديثنا لفترة طويلة. الجميع كان يطلب ودّها ويتمنى أن يحظى بفرصة الحديث معها، أذكر أن خالداً وهو صديق دراسة أيضاً جاءنا فرحاً ذات يوم، فقط لأنها ابتسمت له حينما سمح لها بالمرور أمامه في طابور المطعم.

- عفواً سيديّ، أتسمحان لي بتنظيف الطاولة؟
- تفضل، قلتها وعيناي لا تزالان ثابتتين على أحمد الذي بدا غير آبه لوجودي أو للنادل.

رغم أن هند أيضاً فائقة الجمال، إلا أن خجلها كان أجمل ما يميزها. لم تكن تخالط الفتيات، تمشي وحيدة دائماً، ورغم ما لهذا الأمر من تحفيز على مشاكستها وذلك وفقاً لقواعد الحصول على فرصة كاملة لمحاولة نيل قلب فتاة، إلا أنه لا أحد منا نحن الفتية كان يجرؤ على تلكم

الخطوة، لأنها كانت تفرض احترامها على الجميع.

إذاً كيف سقطت في شباكه؟

ما زلت أذكر رؤيتها خارجة من إحدى المحال تحمل أكياساً، بدا أنها ثقيلة على فتاة نحيلة مثلها، فاقتربت منها ومن دون أن استأذنها مددت يدي وأمسكت الأكياس؛ كان تصرفاً رجولياً بحتاً لم يخالطه أي تفكير شيطاني.

- دعيها عنك، سأحملها... وابتسمت.
- أرجوك، دعني وشأني. قالتها بخجل.
- لا تخافي، أردت حمل الأكياس لا أنت.

لا أدري كيف ولماذا قلت هذه الجملة. ربما لكسر الحاجز بيني وبينها، وفعلاً كان لي ما أردت. رأيت ثغرها الجميل وقد رسمت عليه ابتسامة أنارت الطريق، بعدما أطلقت يدها الأكياس وسارت أمامي.

- عفواً، أيريد سيدي أي شراب؟

صحوت على سؤال النادل، لم أجد أحمد أمامي. هااااه. أين ذهب؟ كيف لم ألحظ نهوضه من أمامي؟

حتماً تلك الفتاة، هي السبب.

- أحضر لي قهوة.
- وماذا عن صاحبك سيدي؟
- أين هو صاحبي؟ أترى أحدا معي؟
- عفواً سيدي، الرجل الذي كان يجلس معك، قبل أن أراه ينهض مسرعاً ويتجه نحو دورات المياه.
- ما اسمك؟
- اسمي؟ هل بدر مني ما ضايقك سيدي؟
- أتعرف هند؟
- هند؟
- نعم هند.

- لا أعرف أحداً بهذا الاسم سيدي.
- إذاً، أحضر لي قهوة من دون سكر.

رأيت على وجه النادل نظرات استغراب، وقد ذهب من دون أن ينطق بكلمة واحدة.

كنت أسير خلفها حاملاً الأكياس وشذاها يصفع وجهي محرّكاً شيطاني الذي ما انفك يوسوس لي باستغلال الفرصة التي لن تتكرر، أيها الأحمق سيكون موضوعاً للتباهي أمام الرفاق غداً، وربما لفترة طويلة من الزمن فأمر كهذا يستحق التباهي به، وكذلك سيكون رداً صريحاً قوياً على اتهامهم لك بالجبن من الخوض في عالم الجنس الناعم، لماذا تكون أنت المستمع لرواياتهم ومغامراتهم البطولية الكاذبة غالباً؟

وأنا في خضم الصراع مع رغباتي الداخلية الجامحة إذ بصوتها الرخيم يبدد كل المعارك التي كانت تدور في رأسي، فألقت أفكاري كل أسلحتها

التي كانت تراهن عليها، ورفعتُ راية بيضاء راسماً ابتسامة على شفتي وقد شلّت حمامة السلام كل حركاتي حين قالت: وصلنا.

لم أرها بعد ذلك اليوم، كما لم أخبر أحداً من أصدقائي بما حدث بيننا، لا لأنه لم يحدث شيء ما يستحق أن أتشدق به أمامهم إذ كنا نتحدث في أمور أتفه وأقل من ذلك بكثير ونستغرق وقتاً طويلاً في الحديث عنها، لكن السبب الحقيقي خوفي عليها أن يكون لما سأقوله لهم تأويلات أخرى تمس سمعتها بالسوء وهي التي طالما كانت ناصعة البياض.

لكنني الآن، وبعد أن رأيتها تغادر غرفة الفندق، وتحديداً الغرفة ذات الرقم 17 في الطابق الخامس والتي هي غرفته أيضاً، لم يعد هناك من سبب لكتم ذلك السر.

– هيبي أنت، ماذا بك؟ أين سرحت؟

- أحمد، أنا؟ أنا هنا أنتظر عودتك، شُفيتم؟
- مممم، أتريد فعلاً أن أجيبك عن سؤالك؟
- سؤالي؟ أي سؤال؟
- لالالا يبدو أنك فعلاً قد وصلت إلى مكان بعيد جداً هاهاهاها
- كفاك سخرية، تكلم بوضوح.
- حسناً، حسناً، لقد وصلت إلى غرفتي في الطابق الخامس... على الأقل لا تُنكر ذلك.
- بل انتهيت عندها إن كان هذا ما ترمي إليه؟
- نهاية متوقعة، لست أنت وحدك من انتهى عندها.

لمحت في عينيه مكر الثعالب رغم محاولته إخفاءه بابتسامة صفراء.

ترى ماذا يقصد بكلامه هذا؟ ومن تراه قد انتهى مثلي لما انتهيت إليه؟

لابد أنه يقصد الرفاق، فجميعهم يتوقعون أن

تكون النهاية هكذا كما هي العادة في قصص عشقه الواهية التي لا تستمر طويلاً.

لم يكن توقعي كافياً لإشباع فضولي ومعرفة الحقيقة، بل أردتها صريحة خارجة من بطلها لا يشوبها شيء.

- هل سأنتظر طويلاً كي تقول ما عندك؟

- إذاً فأنت لا تزال تريد أن تعرف؟

- نعم إذا تكرمت، كلي آذان صاغية.

- هاهاها آذان فقط؟

- هاه! ماذا تقصد؟ لماذا كل هذا التلميح والغموض في كلامك؟ لم أعتدك من قبل هكذا.

- أنا أيضاً لم أعتدك هكذا! عموماً، إليك ما حدث...

وراح يروي لي تفاصيل لقائهما، وكيف تحدث معها مستغلاً فرصة مساعدتها في حمل الأكياس الثقيلة إلى منزلها.

نبل

خرج من البيت بعد أن ضاق ذرعاً وهو ينتظر قدومها، اتجه إلى مقهى في وسط السوق العاجّ بالمتبضعين والمتطفلين.

جلس وحيداً إلى طاولة في إحدى الزوايا، وبدأ يرتشف القهوة وهو يتأمل الوجوه.

ما هي إلا لحظات حتى جلست إلى الطاولة المجاورة.

جعلت عيون الجالسين في المقهى تتأهب وتتحيّن الفرصة كي تنقضّ عليها مثل وحوش كاسرة ظفرت بفريسة.

مثلهم لم يستطع أن يقاوم جمالها الأخّاذ،

فراح يرمقها خلسة بين فينة وأخرى رغم أنه حاول جاهداً الحد من ذلك بأن يشغل باله في التفكير في حبيبته.

كانت نظرات كل مَـن مِـن حوله مخيفة تنصبّ عليه، كأنها تتوعده، تهدده، والرحيمة منها تحسده، ترى ما ذنب جمالها؟ وما ذنبه هو في أنها جلست إلى جانبه؟

لم يقاوم سؤالاً لمع في رأسه: ترى هل هو يوم حظي أم سوء حظها؟ وبينما هو غارق في تفكيره يبحث عن إجابة، انتشلته رؤية ذلك الشاب بطوله الفارع وملابسه الغريبة يقترب منها، وما هي إلا ثوان حتى بدا جلياً على وجهها - الجميل - الامتعاض ومحاولة يائسة لصدّه.

نهض من مكانه سريعاً وتوجه إليها وبلا مقدمات سحب الكرسي المجاور لها:

- آسف يا حبيبتي على التأخير، لكن كالعادة هي أزمة المرور الخانقة.

ثم التفت إلى الشاب متابعاً كلامه بنظرة حادة:

- أحضر لي قهوة فرنسية وكوباً من الماء.

جلس وكأن شيئاً لم يكن، بدا وجه الشاب محمّراً من الخجل، مضطرباً. فاستدار هارباً من دون أن ينطق بينما مازالت الفتاة مندهشة تبدو على ملامحها آثار المفاجأة.

- أقدّم أسفي واعتذاري على التطفل لكنني ...

- لا تكمل، ليس هناك ما يستحق الاعتذار، بل شكراً لك على هذا التصرف الشهم النبيل.

أتبعت كلماتها بابتسامة حركت مشاعره وعقدت لسانه خجلاً.

شرع في النهوض ليعود إلى مكانه، غير أنها مدت يدها وأمسكت طرف قميصه برفق، ورجته أن يمكث قليلاً لأنها لا تريد أن يتكرر معها ما حدث.

لم يقاوم، وكيف له!

استمرا في تجاذب أطراف الحديث لساعات لم يقطعها غير قدوم النادل ليبلغهما آسفاً أنه قد حان موعد إغلاق المحل.

نهضا بخطى ثقيلة وعند باب الخروج تصافحا وافترقا مبتسمين.

أمامها

وقف أمامها في محطة الانتظار، مرتدياً حلّة رسمية وفي يده حقيبة جلدية داكنة اللون، بدا وكأنه ذو منصب مهم في وظيفته، أو رجل أعمال، بشرته الصافية واهتمامه بشكله الخارجي يوحيان بذلك، كان كثيراً ما يخرج يده من جيبه لينظر إلى ساعته الفاخرة.

تساءلت في نفسها: ترى أي عقل يملك؟ أهو أعزب؟ حتماً هو أعزب فلا توجد أي علامة من علامات شقاء الأزواج.

بدأت تفكر في طريقة مناسبة وغير محرجة لها لفتح نقاش معه، من يدري فقد تكون هذه بداية

علاقة تكون نهايتها سعيدة بعكس علاقاتها المريرة السابقة.

غرقت في أحلامها معه، وصحت منها فجأة حينما مر أمامها عامل النظافة الذي صاح مذكّراً بأن القطار سوف يصل بعد عدة دقائق.

إذاً هذه هي الدقائق الفاصلة التي سوف تحدّد مصيرها إن استغلتها جيداً ولم تهملها.

تشجعت، اقتربت منه حتى بدأت تشم رائحة عطره الزكية، لم يحس أو يلحظ اقترابها، وقبل أن تنطق بكلمة واحده، التفت، وبصق أمامها.

فضول

جالساً في زاويتي المفضلة، كالعادة وحيداً، أسلي نفسي بالقراءة التي أتلذذ بها كتلذذي بارتشاف قهوتي المحببة.

أحلام تحملني عالياً لألامس المزن، هموم تخسف بي في غياهب الضياع، كل ذلك وأكثر عايشته من خلال قراءة ما بين دفتي الرواية، وبين إسقاط بعض ما فيها على واقعي غير المطمئن.

جميل أن تتفاعل وتنجرف وراء كاتب مهووس في الأدب، يطلق لمخيلتك العنان من دون قيود أو حدود.

"هل للإبداع حدود؟ هل للأدب قيود؟ وهل للألم طعم آخر؟".

كثيراً ما يختلط علي الأمر، فتجدني أجيب عن السؤال بسؤال آخر، وتعتري وجهي ملامح طفل عُوقب على فعل من دون سابق إنذار.

النادل، كان يعرفني كزبون دائم ومخلص، كل مرة كان يبتسم في وجهي وهو يقدم القهوة، وكنت أرد عليه بابتسامة مساوية لها بالمقدار ومعاكسة بالاتجاه.

ذلك اليوم كنت كعادتي، غير أن النادل لم يكن كذلك، فلم يبتسم لي.

لماذا أهتم بابتسامة مصطنعة من قبل شخص، لقمة عيشه تحتّم عليه فعل ذلك؟

حاولت أن أُشغل نفسي بشيء آخر، قلّبت ورقة أخرى من الرواية، أعدتُ قراءتها مرة تلو مرة، لكن لا فائدة، فعقلي قد تجمد هناك.

أطبقت الرواية، أزحت كوب القهوة نصف الممتلئ بعيداً، وشرعت بالنهوض عازماً على فكّ لغز تلك الابتسامة المفقودة.

خيل إلي أني سمعت من يهتف باسم بطل الرواية التي أقرأها (دون فالكر) صاحب المغامرات البوليسية المجنونة! التفاتة واحدة كانت كفيلة بقتله وقتل من يهتف باسمه.

مضيتُ في سعيي وراء معرفة الحقيقة، دنوتُ من مكان استراحة عمال المقهى فلم أره بينهم.

سألتُ عنه فأتاني الرد بأنه قد خرج من الباب الخلفي تواً معلّلاً ذلك لهم بحاجته إلى التقاط هواء أكثر نقاءً بعيداً عن تبجح بعض الزبائن.

كان مقرفصاً متكئاً بظهره على الحائط واضعاً إحدى يديه على جبهته، كأن شيئا قد أصابه! وبيده الأخرى ورقة، لا لا، لم تكن ورقة، كانت صورة، نعم صورة، غير أني لم أستطع رؤية ملامحها.

حين لاحظ أن هناك من يراقبه تظاهر بعدم المبالاة، بيد أن يده التي تحمل الصورة قد تكورت على شكل قبضة مزجت كل معالم وتفاصيل ما كان بين أصابعها.

لم يرقني هذا التصرف، ولا عجب في ذلك، فالفضول كان هو محركي منذ البدء، غير أني لم أُبدِ له عدم رضاي، فاقتربت أكثر، وجلست إلى جانبه على الأرض مقرفصاً من دون الاكتراث لمن سيشاهدني بهذه الوضعية غير اللائقة بمكانة شخص مثلي، فلقد تعلمت من جدي مقولته الشهيرة: "لكي تكون مسموعاً يا بني يجب أن تكون مستمعاً جيداً، ولكي تستمع جيداً يجب أن تنزل إلى الأرض".

حينذاك لم أكن أعِ تماماً ما قصده جدي بهذا الكلام، إلى أن رأيته في مشهد تطبيقي مع أحد طلبته الذين يطلق عليهم لفظ (أولادي).

أخرجتُ من جيبي علبة السجائر، فتحتها

ومددتها إليه، غير أنه أومأ برأسه رافضاً، هنا لاحت الفرصة لقطع ذلك الصمت والتحدث:

- طبعاً طبعاً، فأنت لم تخرج هنا إلا للهواء النقي. وابتسمت.

- سيدي، أنظر حولك، ألا ترى كمية التلوث المحيطة بنا؟ قالها بنبرة بائسة.

- أمممم معك حق، أنا لا أؤمن بمقولة أن هناك خروجاً لطلب الهواء النقي، وخصوصاً في هذا الوقت العاجّ بكل ما هو ملوث.

- كله يهون ما لم نكن نحن الملوثين من الداخل. قالها دون أن ينظر إلي!

- ماذا؟ "ملوثين من الداخل؟" ماذا تقصد؟ قلتها بنبرة حادة.

- ....

أزمع على النهوض وفي عينيه الكثير من البوح، وخيل إلي أني لمحت دمعة قد علقت في

مقلته لم يزدني يقيناً بوجودها غير إشاحته بوجهه سريعاً وبعيداً عني معتذراً عن تماديه بالكلام.

اتجه ناحية حاوية كبيرة للقمامة كانت مقابلة لنا وألقى ما كان يخفيه.

"أتراه لاحظ متابعتي له؟ لماذا رمى الصورة في الحاوية؟ والأهم من هذا وذاك هل سيتوقف فضولي عند هذا الحد؟"

لم يبدد شرودي هذا غير تربيتة على كتفي ملقياً وداعه بابتسامة مصطنعة - هكذا قرأتها - ثم اختفى.

ظللت واقفاً حائراً، لا أدري أي القرارين سوف أمضي فيه. كان لا بد من الاستعانة بها، أخرجت من جيبي قطعة نقدية، ألقيتها في الهواء وعيني تحرسها، فكان قرار المضي قدماً في معرفة حقيقة الصورة هو.......... الخاسر.

تمتمت بحنق:

لااااااا، أريد أن أعرف، الفضول سوف يقتلني.

أجابني صوت داخلي "لكنك ارتضيت بما سيجلبه لك القدر ولم يجبرك أحد على ذلك".

رددت:

القدر؟ القدر هو الذي جلبني منذ البداية فلماذا إذن التوقف الآن؟

"نعم القدر هو الذي جلبك في البداية وهو أيضاً الذي يريدك أن تقف أيضاً عند هذا الحد الآن" (الصوت الداخلي ذاته).

صحت:

لكن لماذا الآن؟

.....................؟

كان مستوى الفضول لدي قد بلغ ذروته، ولا أستطيع التحمل أكثر من ذلك، القدر لن يمنعني

مما أريد، ولا زلت أذكر كلام جدي (نحن من يكتب القدر لا العكس).

حانقاً رميت قطعة النقود بعيداً، وعقدت العزم على المضي قدماً، في مشوار بدايته كانت اختفاء ابتسامة معتادة، ونهايته! أمممم هذا بالضبط ما أنا على يقين بأنه على بعد خطوات مني، وبأنه ما سوف أكتشفه عندما أخرج الصورة من الحاوية.

كانت كبيرة جداً ومليئة بالقاذورات، أففففف لا أدري كيف أقنعتُ نفسي بفكرة القفز داخلها.

اعتدت أن أكون كثير الوساوس في مثل هذه الأمور، وأتذكر موقفاً جمعني بأحد زملائي من دكاترة علم النفس، أكد لي فيه يومذاك بأنني مصاب بما يسمى بـــ (الوسواس القهري)، وذلك بعدما رآني أغسل يديّ بالصابون ثانية لمجرد أنني لم أكن مرتاحاً إلى غسلهما في المرة الأولى!

كثيراً ما يحدث هذا معي، لكن الآن وفي هذه

المرة تحديداً يبدو أن هناك قوى خفية كامنة تدفعني إلى تصغير هذا الأمر مقارنة بما سوف أحققه من إرضاء وإشباع لفضولي.

داخل الحاوية ولوهلة، اعتقدت بأني كمن يبحث عن إبرة في كومة قش، غير أن هذا الاعتقاد مع مضي الدقائق بدأ يكبر ويكبر لأغدو كمن يبحث عن إبرة في حقل كله قش.

خيبة الأمل وحقيقة الفشل، أضحيا كالمرض الذي بدأ يتفشى في جسد مريض مازال يقاوم وهو منهك القوى، يحدوه فقط عطف ربه.

لم أعرف كم مضى من الوقت عندما توقفت، وكل ما أعرفه أنني توقفت لأمرين، الأول كي ألتقط أنفاسي بعد جهد مضن، والآخر، بسبب معاودة الوسواس القهري لي ثانية، والذي أمرني بتكرار البحث في المكان نفسه الذي اعتقدت أني قد انتهيت منه. سحقاً لهذا الوسواس.

لم أكن أتصور أن أمراً كهذا سيكون بهذا التعقيد وهذه المشقة.

هممت بالخروج من الحاوية، وذلك بوضع الأكياس والصناديق الموجودة داخلها بعضها فوق بعض، مكوناً هرماً للصعود، لكن وبينما أنا أقوم بذلك سمعتُ وقع أقدام تدنو من الخارج، فتجمدت مكاني وتوقفت عما كنت أقوم به، وطأطأت رأسي حابساً أنفاسي ودقات قلبي - كمن لو كان باستطاعته ذلك - وأرهفت السمع، توقفتِ الأقدام قرب الحاوية، لم يعد يفصلها عني غير جدارها، الذي لو زال لزالت معه هيبتي في نظر صاحب الأقدام أياً يكن، وما هي إلا ثوان حتى رأيت كيساً طائراً يحط وراء ظهري ببضعة (سنتيمترات).

أمعنت النظر وحبست صرخة كادت أن تنفجر:

يااااااه ما هذا! كأني أرى ضالتي بجانب ذلك الكيس! أهو القدر أيضاً؟ هذا لا يهم، ما يهم

الآن هو أني وصلت لما أصبو إليه ودنوت كثيراً من كشف سر ذلك النادل.

بعد أن اطمأنيت إلى أن صاحب الأقدام قد عاد أدراجه من حيث أتى، أزحت الكيس عن طريقي والتقطت الصورة المتكورة، وشرعت في محاولة إعادتها إلى وضعها المنبسط بعناية شديدة، وذلك خوفاً من تمزقها وضياع معالمها ومن ثم ضياع معالمي.

رويداً رويداً بدأت تتكشف الصورة وما تحويه لي.

(وجه بائس لطفلة جميلة تحتضن دمية منزوعة الرأس)، تساءلتُ:

أهذا كل ما هنالك؟ أهذا يستحق أن أكابد كل ذلك العناء؟

انتابني الفضول أكثر. حاولت أن أجد شيئاً غير تلك الطفلة الحزينة على دميتها، بحثت خلف

الصورة فلم أجد غير منظومة رقمية تتكون من ثمانية أرقام (28042003)، ولأنني بارع في لغة الأرقام وفك طلاسمها، تمعّنت فيها أكثر محاولاً أن أجد لها تفسيراً منطقياً متناسياً تماماً أين أنا ولماذا لم أخرج من هذه الحاوية إلى الآن وقد حصلت على مرادي!

التفسير الوحيد الذي خرجت به، هو أن هذه الأرقام لا تمثل غير تاريخ الثامن والعشرين من نيسان/ أبريل لعام 2003، أي قبل سنة من الآن؟

ياااااه، اليوم يصادف مرور سنة كاملة على التقاطها.

وهطلت الأسئلة:

هل هي ابنته؟ أمممم، لا بد أنها كذلك، ولكن كيف يلقي بصورة ابنته في حاوية النفايات؟!!.

الأمـر يـزداد سـوءا، وكـيـف لا، وقـد ازداد الفضول لدي.

ثم ما علاقة الصورة بما قاله؟ (ملوثين من الداخل).

لن أسكت ولا بد من أن أقطع الشك باليقين، سوف أتوجه إليه مباشرة، وشخصياً، سوف أطرح عليه كل تلك الأسئلة، - كان هذا هو الحل الذي توصلت إليه، وشرعت بتنفيذه -.

وأنا أهم بالقفز خارجاً، سمعتُ صوت طلقة نارية آتياً من داخل المقهى. هرعتُ مسرعاً تجاه الصوت، ذهلتُ من هول ما رأيت، كان ذلك النادل مكوماً على الأرض بلا حراك ودم غزير يحيط برأسه، إحدى يديه ممسكة بمسدس والأخرى بورقة، حوله رفاقه وقد أصيبوا بنوبة بكاء وأحدهم قد هرع طلباً للنجدة، زبائن المقهى في حالة ذعر شديد، بينما مسؤول العاملين في المقهى يحاول تهدئتهم، وقد أمرهم بالخروج بهدوء من دون

الاكتراث بدفع ثمن طلباتهم التي أصبحت مجّاناً كما قال!

أردتُ أن أعرف ما الذي حدث؟ ما سر المسدس في يده وما سر الورقة أيضاً؟ غير أني أُمرت بالخروج كبقية الزبائن.

لست أنا وحدي...

أنتم أيضاً؟

لحظة صفاء نقية

حمل بين يديه فلذة كبده ملفوفة بقطعة قماش ناصع البياض، ومشى وحيداً بين القبور.

أنصت إلى صوت من في القبور ترحب بالنزيل الجديد، منع دمعة مباغتة كادت أن تعلن التمرد وتكون هي السبب في البداية لسيل من الدموع، فهو لا يريد أن يعكّر صفو هذا الترحيب بالساكن الجديد.

بيديه الجافتين من الدماء يـُنزل اللفافة في اللحد، كم تمنى أن يكون هو عوضاً عنها، يـُحس بأن قلبه ينقبض وصدره يضيق، فيحاول أن يكابر ويكابر من دون جدوى.

هناك، في ذلك الجو المحموم لا أحد غيره هو وكومة الرمل التي ينتظر أن تعود إلى مكانها فوق قطعة لحمه الطرية الغضّة.

كبت بغصة صرخة مدوية كانت ستخرج :

" ربـــــــــــــــــااه

رحمااااااااااااااااااااااااااااااااااااك " .

كم تمنى أن يـُصدح بالأذان، عله يواسيه.

كم تمنى أن يقال لا حول ولا قوة إلا بالله علها تقويه.

كم تمنى أن يجد من يقدم له التعازي.

بل... بل من يهنئه؟

حدّق في السماء طويلاً حتى تملّكه شعور غريب، ارتعشت أطرافه، ثم أعاد النظر إلى ما كان يحمله وقد أصبح قابعاً في أسفل اللحد وقال بقلب قنوع :

إلى قطعة لحمي، بل إلى قطعة القماش، هنيئاً لك بها وبضمتها التي حـُرمت منها، لله ما أعطى ولله ما أخذ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم بدأ يقبــّل التراب قبل رميه فوقها بكل حنــان.

إيماءة

في كل صباح باكر وهو في طريقه متجهاً إلى عمله سيراً على الأقدام كان يطيل الوقوف أمام نافذة المحل محملقاً فيها، فبالرغم من أنها كانت ذات جمال عادي في نظر الجميع إلا أنه كان يراها أجمل نساء الكون "فالحب أعمى" كما يدعي.

وفي كل مرة كان يظل يتظاهر بالنظر إلى الفستان المعروض في الواجهة بينما هو يتحرك معها يمنة ويسرة بحيث تكون في مرمى نظره.

تردد كثيراً في أمر مصارحتها بحبه لها في السابق، غير أن ما يحدث الآن أمامه دفعه لأن يفكر جدياً في الإقدام على تلكم الخطوة، ذلك

حين رآها تبتسم وهي تتحدث مع شاب في المحل، تغلغلت الغيرة إلى قلبه سريعاً فملأته واستشاط غضباً فبدأ الدم يفور في عروقه حتى كسا وجهه اللون الأحمر، وبدأت تأكله الظنون بمنافس غامض قد يفوز بقلبها قبله.

حزم أمره، تناول هاتفه النقّال من جيبه وأجرى مكالمة عاجلة مع صديقه في العمل يطلب إليه أن يأخذ له إذناً بالتأخر.

فتح باب المحل واتجه نحوهما مباشرة، بدا أن وقع خطواته كان متناغماً مع دقات قلبه المتلهفة، دنا منهما حتى أصبح قريباً جداً لدرجة أن من يراه يعتقد أنه مشترك معهما في الحديث، غير أنه أدار وجهه عنهما كمن يقلب في الملابس المعلقة قربهما باحثاً عن شيء يناسبه.

كان ينتظر أحد أمرين، إما أن يسمع ما يطمئنه ويجعله يتريث في أمر مصارحته لها، وإما أن يسمع

ما يزيد في إثارته ويجعله يمضي في فكرة مصارحتها، ولكن ذلك لن يكون إلا بعد أن ينصرف ذلك الشاب المنافس.

كانت جوارحه كلها تُرهف السمع إلى حديثهما معاً:

- أحقاً ما تقول؟ وبدت عليها الفرحة مختلطة بالدهشة.

- نعم نعم أقسم لك بذلك يا حبيبتي. وعلت وجهه ابتسامة.

- حسناً، سنذهب سوياً أليس كذلك؟

- بالتأكيد، فهذا ما أردت وما قدمت من أجله، إذن موعدنا بعد نهاية دوامك لرؤية خاتم الخطبة.

حينما سمع "خاتم الخطبة" أحس بانقباض شديد في قلبه، بضيق في التنفس، دارت به الأرض وأظلمت الدنيا في عينيه، فسقط مغشياً عليه أمامهما ساحباً وراءه رفّ ملابس كان مستنداً إليه والذي هوى فوقه بكل ما يحويه.

حينما أفاق، وجد نفسه محاطاً بالبياض، لوهلة خيل إليه أنه في الجنة، سرير أبيض، ستارة بيضاء، جدران بيضاء و.... ملائكة!

- حمداً لله على السلامة. ابتسامة تكشف عن أسنان بيضاء أيضاً

- آآآآآخ... أين أنا؟

- أنت في أيد أمينة، لا ترهق نفسك، بعد لحظات سيأتي الدكتور.

- الد....كتور!! ما الذي حدث؟

- أمر بسيط جداً، مجرد هبوط في الضغط وبضع كدمات لا أكثر.

- أنا لا أذكر... شيئاً!

- ذلك ليس مهماً الآن، ما يهم هو أن تكون بحال أفضل حتى تستطيع أن تستقبل من قام بإحضارك إلى هنا، ومازال قلقاً ينتظرك في الخارج. وأشارت بعينها مبتسمة.

أدار وجهه ناحية النافذة الزجاجية فأبصرها واقفة هناك خلفها، تنظر إليه بابتسامة، لم يصدق عينيه، "إنها تبتسم لي، تقف خلف النافذة الزجاجية... تماماً مثلما كنت أفعل، أهي الفرصة المناسبة لمصارحتها؟"

أوغل في تفكيره يحلم بغد جميل معها، غير أن ذلك لم يدم طويلاً حيث رآه يقترب منها ويضع يده خلف كتفها وينظر إليه مبتسماً أيضاً! "يا لبجاحته الفظة!"

يا له من حلم! انطفأت شمعة الأمل التي أنارتها ابتسامتها ومات حلمه وهو لا يزال في المهد!!

لم يستطع إخفاء انزعاجه وعبوس وجهه، بيد أن هذا العبوس تحول إلى سعادة غامرة سريعاً حينما رآهما يومئان بيديهما المختلفتين!

العهد

كنا أربعتنا كالإخوة في كل شيء، لم يكن هناك أي حاجز نُقيم له اعتباراً، فلا النسب ولا المذهب ولا الفروقات الاجتماعية لها أساس فيما تعاهدنا عليه، كان الشيء الوحيد الذي يجمعنا هو ذلك العهد الذي تمت الموافقة عليه في اجتماعنا الذي كان تحت شجرة الأسرار كما كنا نطلق عليها، حيث تنطلق من تحتها كل خططنا ومشاريعنا المستقبلية، لم يكن لنا مكان أكثر أماناً نأوي إليه إلاها.

– هل توافقون؟

أومأنا كلنا برؤوسنا من دون أن ننطق.

- إذاً ضعوا أيديكم هنا.

وضعت يدي معهم في إناء كان مملوءاً بخزعبلات طفولية.

هذا هو القسم وهذه كانت نقطة البداية لتحول كبير في تصرفاتنا التي ما زلت أرى آثارها علي.

في كل ليلة من ليالي الخميس كنا نخرج خفية ونجتمع تحت الشجرة ليدور بيننا النقاش في ما تعاهدنا عليه، وأحياناً يتطور الأمر ليصل إلى الشجار لكننا لم نكن نبرح المكان قبل أن نُسوّي الخلاف.

كل المشاكل تحل وجميع النزاعات تنتهي، لم يكن بالأمر الصعب لمن كان ولاؤهم الوحيد لذلك العهد.

سكنت في القرية عائلة جديدة وقطنت ذلك البيت فتاة جميلة مع والديها وأخيها الصغير.

لم يكن هناك شيء يذكر غير ذلك في بادئ الأمر، ولم يُعر أي منا تلك الفتاة اهتماماً قبل ذلك اليوم المشوؤم الذي وجدناها هي وأخاها الصغير يحفران تحت شجرة الأسرار!

الإناء لم يعد مدفوناً تحت الشجرة والفتاة انتقلت إلى بيتي.

سالم

جاءه اتصال من رقم غريب فلم يجب عليه، قطّب جبينه وانتظر قليلاً عله يتذكر، وحين غلبه اليأس، شرع بإرسال رسالة نصية يستفسر فيها عن هوية المتصل، وفي غضون لحظات أتاه الرد بالرغبة في التعرف.

حزم أمره ووضع اسماً وعمراً وهميين ثم مضى بإرساله وانتظر الرد، ظل ينتظر طويلاً ولا شيء يأتي!

حسب أن الرسالة لم تصل لرداءة التغطية، فأعاد إرسالها ثانية ممنياً النفس بوصولها هذه المرة.

تهلل وجهه بالبشر حين لاحت رسالة أخرى،

بلهفة همّ بفتحها وابتسم حين قرأ رغبتها في لقائه غداً مساء.

رجع إلى البيت فرحاً على غير عادته، عند الباب استقبله ابنه الصغير بوثبة، حمله بكل الشوق وقبّله مراراً، ولج إلى المطبخ فوجد زوجته منهمكة في إعداد الطعام، لم يشأ مقاطعتها وانسحب بهدوء.

ألقى بنفسه على الفراش ومضى يشرب فكرة اللقاء حتى الثمالة.

....

صاح في حنق:

يااااااه لقد تأخرت عن الموعد ومازال لدي الكثير لأقوم به، لم أحلق بعد، لم أنتق الملابس المناسبة لموعد كهذا فالانطباع الأول للشخص مهم جداً.

قام بمعالجة الموقف بشكل سريع محاولاً إقناع نفسه بذلك، رش عطره المفضل وانطلق.

وهو في طريقه إلى مكان اللقاء بعث برسالة يخبرها بقدومه مع اعتذاره عن التأخر، جاءه الرد بأنها هي أيضاً سوف تتأخر قليلاً.

جلس إلى طاولة في مكان منزو اختاره عمداً كي يأخذا راحتهما بالحديث بعيداً عن الأعين المتطفلة وتحاشياً للخجل.

انجرف في بحر تفكيره بعيداً ودار في عقله الكثير من الأسئلة، كيف سأعرفها؟، يا ترى هل هي جميلة؟، عمّ سوف أحدثها؟، ماذا سأطلب لها؟ بل ماذا سأطلب لي؟

ظل يراقب ساعته منتظراً قدومها بفارغ الصبر، قلبه معلق بين لقائها وساعته، فجأة داهم أذنيه صوت يعرفه وتراءت أمامه هيئة قد اختزلت في عقله تحت بند (زوجتي)، تبدّدت كل أحلامه وتغير إحساس دقات قلبه المتسارعة.

- آسفة لتأخري يا خالد، آاآه عذرا، يا سالم.

ظلي

أفاق من إغفاءته في حالة هلع شديدة، احمرار في حدقتي العينين، صدر يموج بحشرجة.

تناول (الموبايل) وبعث برسالة مسدلاً ما أسماه نزوة، ثم اصطحب زوجته لعشاء حميم في مطعم.

حبس وإطلاق.. دمعة

قبلت أخاها الصغير حابسة دمعة كادت أن تفسد عليه نومته وكتمت صرخة كانت ستفسد عليها خطتها بالهرب.

- سأعود يا حبيبي يوماً ما، فلا تخف، واصبر.

تسللت ماشية على أطراف أصابعها حاملة على ظهرها (بقشة) ملابسها، هي كل ما تملك.

لم تكن بعد قد بلغت الثامنة عشر ربيعاً حينما قررت الهرب، فحياتها معه أصبحت جحيماً لا تطاق، كان يُذيقها من أصناف العذاب كل المرارات وكان يتفنن كل يوم بطريقة جديدة.

كان عزاؤها الوحيد أمها التي لم يكن لها حول ولا قوة غير الكلمات والدعوات التي أحياناً تزيد الهم همّاً آخر. كثيراً ما كانت تطالبها بأن تصبر وتتحمل خطأ كانت مجبرة على اقترافه معللة ذلك بأن زواجها به كان ضرورة ليكون في البيت رجل.

بعد وفاة والدها الذي لم يترك وراءه شيئاً غير ديون متراكمة نصفها لهذا المستبد، الضابط في الشرطة، وحياتها كل يوم من سيء إلى أسوأ.

و الآن وبعد أن اكتملت سلسلة شقائها بوفاة والدتها، ذلك الخبر الذي نزل كالصاعقة عليها وكان كالقشّة التي قصمت ظهر البعير، لابد من الهرب.

لم يكن يساورها أدنى شك بل كانت ولا تزال متيقنة بأن لذلك الرجل يداً بوفاة والديها.

مرت أمام باب غرفته المفتوح كعادته كل ليلة لخوفه من الأماكن المغلقة كما يزعم.
دخلت فسمعت بوضوح شخيره الذي أصبح عزفاً منفرداً لا بد من سماعه ليلياً، حبست أنفاسها عن رائحته النتنة التي تملأ المكان وتابعت بخطوات حذرة خاشية من لحظة قد تنهي كل ما خططت له.

كان مستلقياً على بطنه كجثة هامدة، في إحدى يديه زجاجة شبة فارغة ويده الأخرى تتدلى من طرف السرير، يبدو أنه أكثر من الشراب هذه المرة لدرجة أنه نسي أن ينزع حذاءه أيضاً.

خطر في بالها أمر لم يكن ليخطر لو لم تره بهذه الحالة، ولأول مرة ترى أن في شربه المفرط فائدة لها، فكم من المرات قد انهال عليها وعلى أمها بالضرب جراء ذلك السم الذي يتجرعه.

الغريب في الأمر أنه كان يشرب السم ويستقر في أحشائه بينما هي وأمها من تتجرعان آلامه!

اقتربت من السرير فأصبحت الرائحة لا تطاق وشخيره المزعج يصم الأذنين، لا يهم يجب أن أتحمل، نظرت إلى وجهه القبيح وجسمه الضخم وتذكرت والدتها، كيف استطاعت أن تكون معه في فراش واحد طوال تلكم السنين!

اقتربت من الدولاب، وبرفق بدأت تفتش بين الملابس من دون أن تترك أثراً يدل على أن يداً مرت عليها، لم تجد مفتاح الخزانة فشعرت بالأسى وبدا أن ما خطر لها لن يكتمل، وهي تهم برفع يدها، لامست أطراف أصابعها شيئاً معدنياً فتوغلت بيدها حيث ذلك الشيء وأخرجته.

رمت البقشة واحتضنت أخاها الصغير وأطرافها لا تزال ترتجف، أطلقت دمعة وهمست في أذنه:

– حبيبي، لأجلك عدت بأسرع مما كنت أتصور.

تهنئة واقعية

اتصل بي بعد مدة ليست بالقصيرة، كان صوته مختلفاً كلياً، لم أكن لأعرفه وحدي، ولولا إحساسه بأني قد أوجست منه خيفة لما عرّف بنفسه.

رحّب بي كثيراً، بيّن في كلامه أنه قد اشتاق إلي وأنه يريد أن يبدأ صفحة جديدة يعيد بها ذكريات الماضي الجميل حين كنا معاً أغلب الأوقات.

تم كل ذلك وأنا مازلت في حيرة من أمري: ما السبب الحقيقي الذي دعاه إلى الاتصال بي بعد فترة الانقطاع الطويلة؟

بدا صوته هادئاً جداً فيه سكينة، كنت أحس

بابتسامته من طريقة إلقاء كلماته عبر الهاتف، كان يبدو سعيداً جداً.

أخبرني أنه قد تغير كلياً وأصبح شخصاً آخر، صار يعرف أمور دينه أكثر، التزم أداء الصلوات في المسجد في وقتها مع الجماعة، كوّن صداقات جديدة مع شباب متدينين، أطلق لحيته فأصبحت طويلة، لم تعد تهمه الأمور القديمة مثل السفر للمتعة المحرمة، السهر مع الرفاق حتى ساعات الصباح الباكر، مغامرات الحب والغرام الكاذبة، كلها أضحت تفاهات، نعم تفاهات، هذا هو الوصف الذي نعته بها.

سرحت في ما يقول، بدأت أفكر في شكله وخاصة اللحية الطويلة، وبينما أنا في تفكيري هذا شعرت بإحساس غريب. لا شعورياً هنأته بقولي له:

- مبروك.

فسمعت ضحكته ترتفع وقال لي:

- الله يبارك فيك.

غير أني استطردت قائلاً:

- مبروك لقد أصبحتَ... إرهابياً.

أقفل السماعة ولم أسمع عنه أي خبر إلى الآن.

و ....

سقط من على الشجرة لتتلقفه يدا فتاة صغيرة، لم يكن يتوقع أن تبوء محاولته بالفشل، كان يظن أنه قد أصبح قادراً على أن يقوم بكل ما تقوم به أمه.

الفتاة من شدة فرحها به نسيت أن تكمل ما أوكلتها والدتها القيام بعمله، أسرعت نحو البيت وبحركة سريعة لم تعتدها فتحت الباب ونادت صديقتها التي كانت مع أمها في زيارة لهم:

- ساااااارة ..... ساااااارة تعالي، تعالي.
- ماذا بك يا سعاد؟ سألت الأم باستغراب.
- لا شيء، لاشيء يا خالتي. قالتها بقلق.

فتداركت الأمر سريعاً، وأخفت ما تحمله في يدها في جيبها، رمقت سارة بنظرة فيها الرجاء بأن تلحقها، أدارت وجهها وركضت مسرعة إلى غرفتها في الطابق العلوي.

مازال يحس بألم السقطة في جميع أجزاء جسمه الصغير النحيل، ويد تلك الفتاة زادت الطين بلّة أيضاً.

تذكر كلام والدته وتحذيرها له بأن لا يستعجل الأمور ويتريث، فلا بد أن يأتي الوقت المناسب للاعتماد على النفس.

"ترى ما حالها الآن؟ لابد أن قلبها مشغول علي، لابد أنها تبحث عني في كل مكان".

دخلت سعاد غرفتها، أوصدت الباب جيداً، أسرعت وأسدلت الستائر كي تحجب أي عيون دخيلة، أخرجته من جيبها برفق، ثم رمت نفسها

على السرير، تأملته بعينين حانيتين ولسان حالها يقول:

كيف حالك يا صغيري؟ هل أنت جائع؟

طُرق الباب فجأة، وبحركة لا شعورية سريعة، أعادته إلى جيبها ونهضت من سريرها، صاحت:

- من الطارق؟
- افتحي يا سعاد، أنا سارة.
- حمداً لله. قالتها وهي تضع يدها على قلبها.

بدأ ضيق المكان يشعره بالوهن والضعف أكثر فأكثر، أصبحت الحسرة والندم تطغيان على تفكيره بأن أقدم على مجازفة طائشة، كان مصيرها الوقوع في يدي فتاة بلهاء.

- اللـــــه، كم هو جميل! قالتها سارة بدهشة.

- أرأيتِ كم أنا محظوظة به! وعلت شفتي سعاد ابتسامة.

- فعلاً، ما الذي تنوين القيام به الآن؟

- يجب علي أن أطعمه أولاً ثم أجد له مكاناً مناسباً يأوي إليه ثم ...

سارة مقاطعة:

- أعتقد أن المكان المناسب له لن يكون هنا في غرفتك.

- ما الذي ترمين إليه؟ صرخت سعاد بحنق.

- كلامي واضح جداً ولا يحتمل أي تفسير آخر. قالتها سارة بكل ثقة.

بدت جلياً على سعاد علامات الغضب مما قالته سارة، رغم علمها أن ما قالته لها هو الصحيح، لكن حب التملك والشعور بالوحدة كانا سببين كافيين لجعلها لا توافق على رأي سارة.

- سوف أوفر له مكاناً جميلاً يجعله لا يفكر

في هجره. قالتها بكل صرامة وثقة وهي تنظر إليه بإعجاب.

ضحكت سارة بسخرية وخرجت.

"يجب أن أجد طريقة للخلاص مما أنا فيه! لابد من وجود منفذ! أين أنتِ الآن يا أمي؟ كم أشعر بالجوع، كم اشتقت إليكِ و....

توقفت الأم عن قراءة القصة، قبلت جبين ابنها المريض، أطفأت الأنوار، وخرجت مغلقة الباب خلفها.

المربّع

شعر باحتباس أنفاسه، احتباس إحساسه، خيل إليه أنه معلق بين السماء والأرض، في مساحة ضيقة، بل في مربّع ضيق طوله كالعرض.

تغلغل إليه الإحساس بالرهبة من البقاء وحيداً، وإحساس آخر بالخوف من الموت بعيداً.

عادت به الذكريات وبدأت تعصف به.

ياااااا كأنها البارحة، كيف نسيت!

تقبيل يد أمي؟

توديع إخوتي؟

و أن... وأن... وأن...

تاه في كثرة ما كان يجب أن يكون.

نظر إلى ساعته وخيّل إليه أن عقارب الساعة قد توقفت وبدأ بالتساؤل:

أهي العقارب أم دمي الذي في العروق؟
هل سكن الناس جميعاً وقـُضي الأمر؟
ونحن في وضح النهار.

مضى في تقليب أفكاره، فهطل عليه الكثير من التساؤلات كوابل من المطر:

ما العمل؟
ما هو السبيل للخلاص؟

أصاب الألم قدميه من طول الوقوف، شفتاه تتحولان شيئاً فشيئاً إلى الشحوب، جفتا كما الريق في حلقه، لوهلة شك في أن قلبه لم يعد في جوفه، فبدأ يبحث عنه:

قلبي! أين قلبي؟
لا!!!!!! مستحيل! أين قلبي؟
رحل؟ هرب؟ تركني في أول محنة!
أم تراه هبّ في طلب النجدة؟ ـ ـ

بـدا لـه أن الأمـور قـد تـعـقـدت، ومـوجـات مـن الأحاسيس قد تداخلت، هل يبكي أم يضحك؟

هل يصرخ أم يصمت؟

ومرة أخرى لفته الذكريات:

آاااااه كم كانت جميلة، نعم جميلة، طفولتي، شقاوتي، وكم كانت بسيطة،

أذكر البيت المربع، الغرفة المربعة، النافذة المربعة، يا لمفارقات القدر، لم أدرك وجود المربع إلا في فصول الرياضيات الأربعة! بل لم أتوقع النهاية المربعة! نهاية مربعة؟!

ههههه.

لم تكن ضحكة من القلب بقدر ما هي ضحكة استهزاء وسخرية صفراء.

أحس بضيق شديد في التنفس وبدأ يتمتم بحنق:

لا لا لا يمكن أن تكون نهايتي هكذا! هناك

أمور كثيرة، شؤون كثيرة، مباراة الغد، وليمة، تكملة رواية قديمة، على الأقل صلاة أخيرة.

أغمض عينيه راضخاً للقدر وبدأ يصلي لكل من يحب وكل من يعرف ومن لا يعرف أيضاً، قناعة داخلية تفشت لديه بأن لا فائدة من صلاته لنفسه فهو قد مات منذ زمن بعيد، وأن احتباسه كان خلاصاً له وأحاسيسه كانت خيوطاً ونوراً ليس إلا، في مربع مظلم، في مصعد العمارة المعطل.

عُقــدة

توقف فجأة، انحنى كي يعقد خيط حذائه، فجالت في باله عُـقد الحياة.

"أحياناً نحتاجها كي نمضي في المسير وكلنا ثقة بأن هذه العقد هي الحل، هي الأمان".

هذا ما أجابه به عقله الباطن، اعتدل وتابع المسير.

على بعد أمتار منه، دوى صوت انفجار قوي، تطايرت الشظايا في كل مكان ووقع أمام قدميه بعض أشلاء إنسان قد تفحمت، اكتساها السواد ورائحة شواء مقززة.

توقفت كل حواسه من هول المنظر، غير أن ومضة سطعت في عقله أبت إلا أن ينظر إلى أسفل حيث حذاؤه وتحديداً العقدة التي ربطها منذ قليل، ويبتسم لها شاكراً.

جموع غفيرة

كان فخوراً بالإنجاز الذي حققه والذي من خلاله رفع اسم بلاده عالياً متفوقاً على جميع منافسيه من مختلف البلدان في هذا الملتقى السنوي العالمي.

أخيراً أصبح حلم الشباب حقيقياً بأن يكون أديباً أكاديمياً ذائع الصيت، بل تجاوز ذلك ليصبح أديباً عربياً ينال أرقى وأسمى جائزة في الأدب.

أسند رأسه إلى كرسي الطائرة الوثير العائد بها إلى بلاده، رجع بذاكرته قليلاً يستذكر الاحتفال الذي أقيم في فندق فخم لإعلان النتائج وتكريم الفائزين في أفرع العلوم المختلفة.

علت وجهه الابتسامة ياااااه كيف كانت موجة التصفيق الحارة والمستمرة للحضور الذين وقفوا حينما أعلنوا اسمه فائزاً بجائزة الأدب، وكيف كان شعوره الغامر بالفرح الذي لم يستطع أن يعبر عنه في الكلمة المقتضبة التي شكر فيها الجميع بدون استثناء.

من الآن فصاعدا يجب أن يتغير كل شيء، الأحلام بإنشاء مدرسة للأدب ستتحقق، المشاريع بتبني المواهب الشابة سيشرع العمل بها، الندوات والمهرجانات الأدبية ستكثر وسينظر إليها بعين الاعتبار من قبل الدولة والشعب.

لم يقطع حبل أفكاره غير إعلان المضيفة وصول الطائرة بسلام إلى أرض الوطن.

قبل الوصول إلى (كاونتر) مدقّق الجوازات ومن خلف الزجاج رأى حشداً كبيراً جداً من المستقبلين المترقبين حاملين معهم باقات الورود ورايات علم الدولة، كذلك يافطات كتب عليها بالخط العريض

(شرفتنا وأهلاً بك على أرض الوطن)، (نحبك كثيراً). وفي الجهة الأخرى المقابلة لها يافطات أخرى (الحمد لله على السلامة)، (أكثر من رائع يا ابن الوطن البار).

بدأ يتمتم: لابد من وجود وفد رسمي رفيع المستوى من كبار مسؤولي الدولة ورجالاتها في انتظاري في قاعة التشريفات أيضاً.

اقترب من مدقّق الجوازات مزهواً تملأ وجهه الابتسامة، قدم له الجواز:

- ما هذه الجموع الغفيرة المتلهفة؟ - قالها وكله شوق ليسمع الإجابة التي ينتظرها -.

- لا علم لدي سيدي، فأنا لا أتابع الأخبار ولا أهتم بها، ولكن، يبدو أنهم بانتظار شخصية مهمة، فأنا لم أر مثل هذا الجمع منذ مدة طويلة!

لم يرقه ردّ المدقق البسيط ولم يرض غروره، لكنه التزم الصمت ممنياً النفس بالجميل القادم.

بعد أن تأكد من أخذ جميع حقائبه، سار

بخطى حثيثة وقلبه يخفق بشدة - بشكل ذكره بليلة التكريم على المسرح - تجاه باب (القادمون)، وقبل أن يصله ارتطمت كتفه بشاب كان هو الآخر مسرعاً يهمّ بالخروج.

ابتسم الشاب في وجهه وأبدى أسفه بكلمة أجنبية، وبدأت صرخات الحشود وهتافاتها ترتفع بشدة، والأعلام ترفرف واليافطات ترتفع عالياً.

فـتُح الباب وانهالت الورود والقبل وفلاشات الكاميرات على شاب الـ ستار أكاديمي.

دورة مياه

"ياااااااه ما أحلى الشبع! شعور لا يوصف".

خرج من باب المطعم، تعلو وجهه ابتسامة رضا، واضعاً إحدى يديه على كرشه مداعباً إياه، بينما يحمل باليد الأخرى عوداً مدبباً، ينظف به بقايا الأكل العالقة بين أسنانه.

"الآن لابد من المشي، التنزه قليلاً في هذا المجمع الكبير لهضم الطعام، ولا مانع من أن أشرب عصيراً أثناء ذلك، فما زال هناك متسع من الوقت قبل حضور الاجتماع الدوري لمهندسي صيانة المجمع".

سار بخطوات بطيئة، ثقيلة، مقلباً ناظريه في أرجاء المجمع ومحاله.

" ما أجمل هذا الفستان! سوف يكون هدية حلوة لزوجتي الحبيبة".

تابع سيره متخيلاً ارتداءها ذلك الفستان، فرحة به، طابعة قبلة على خده كدليل على الشكر.

ولج محلاً للعب الأطفال، كيف له أن ينسى ابنه، فلذة كبده!، مضى يفتش في ركن الألعاب الجديدة عن لعبة مناسبة.

في المحل، وقفت ثلاث سيدات، يتحدثن بصوت عال عن الأطفال ومشاكلهم، يبدين انزعاجهن.

"حمداً لله ابني ليس كذلك، لم يكن يوماً مزعجاً لي أو لوالدته".

ابتسم، شعر بنشوة الفخر.

نسي أن يختار لابنه لعبة، خرج مزهواً، نظر إلى ساعته وتمتم:

" أمممم، لم يمض غير ساعة تقريباً وبقي لموعد الاجتماع ما يقارب الساعتين، كم أكره هذا

الاجتماع، كم هو طويل، ممل، شلة من المهندسين يتشدقون بفرض توصيات ولا يتابعون تطبيقها! ههههه، ما الفائدة؟".

لمح زميلة له في الاجتماع تقف متأملة، حائرة، أمام محل الساعات الثمينة، صوت داخلي يقول:

" فرصة لا تعوض لإضاعة الوقت ".

اتجه ناحيتها، ألقى التحية، بادلته التحية، غير أنه قد بدا واضحاً عليها أنها كانت مشغولة في أمر الساعات، لم يرد الإطالة، ودعها على أمل لقائها بعد قليل في الاجتماع.

راح يدندن بأغنية يحبها، سمعها وهو يمر أمام محل للعطور (وكالحلم جئت... وكالحلم غبت... وأصبحت أنفض منك اليدا... فما كان أقربه ملتقى... وما كان أقصره موعدا).

"يا الله كم هي جميلة تلك الكلمات وذلك الأداء!".

إلى الآن، كل شيء كان جميلاً ورائعاً، يسير على هواه، مضت الساعة الثانية ومضى بعدها النصف ساعة، لم يبق غير نصف ساعة للموعد المنتظر. قال بكل ثقة:

"الآن، لا بد من العصير".

اتجه إلى محل العصير، سأل عما يساعد على سرعة الهضم، ما زال يحس بأن الطعام يجثم على صدره ويشعره بالتخمة.

نصحته العاملة بتناول عصير المحل الخاص، الذي هو عبارة عن خلطة المحل السرية!

فرغ من العصير، اتجه قاصداً مكان الاجتماع، فلم يبق غير ثلث ساعة، جميل أن يصل قبل الجميع، والأجمل من ذلك، أن لا يناله جزء من محاضرة احترام المواعيد، التي كان له نصيب منها في المرات السابقة.

وهو في الطريق أحس بألم في بطنه، مغص شديد، كأن سكيناً تقطع أحشاءه، لم يدر ما

العمل؟ كل ما كان يعرفه أنه يريد دورة مياه حالاً وبأقصى سرعه قبل أن ينفجر في ملابسه. كان كـــ"قنبلة موقوتة".

بالرغم من أنه يعد من مهندسي تصميم هذا المجمع، إلا أن الحالة التي هو عليها الآن، قد شلت تفكيره، بدأ يتصبّب عرقاً من شدة الألم، قدماه بدأتا ترجفان، قلبه يخفق بشده، عيناه تضيقان شيئاً فشيئاً، بالكاد يستطيع أن يقرأ اللوحات الإرشادية المساعدة لمرتادي المجمع، أحس بأن جميع من في المجمع يراقبه، يضحك منه خفية، تابع السير كمن يزحف، بدأ يتمتم بأدعية ابتدعها، علها تخفّف عليه ويكون فيها الفرج.

بدا بريق من الأمل على بعد خطوات منه، حين سطعت لوحة تشير إلى مكان دورات المياه، قال بكل لهفة، كمن وصل إلى بر الأمان:

"حمداً لله، أخيراً".

لم يبق إلا بضع خطوات حتى يصل، لكنه

فُوجِىء حين رأى أن دورات مياه الرجال مغلقة! وهناك تقبع لوحة موضوعة أمام الباب مفادها (نعتذر، مغلقة للصيانة). صاح بحنق:

"سحقاً، أهذا وقته وما العمل الآن؟ لا أستطيع أن أصمد أكثر من ذلك، الألم يعتصرني آاااااه، بطـ...ني".

نظر إلى الجهة المقابلة، حيث دورات مياه السيدات، بريق آخر أكثر سطوعاً لاح في رأسه المشوش:

"لا بد من ذلك، ليس هناك حل آخر".

اقترب أكثر من الباب، طرقه، أعاد الطرق، فتح الباب ببطء وتنحنح، صرخ: "هل من أحد هنا؟".

.....................!!

كان الهدوء يخيم على المكان!

"فرصة، فالفرص لا تأتي دائماً".

أسرع في الدخول إلى إحدى الدورات وأغلق الباب خلفه، وبعد دقائق:

"ياااااااااه ".

أحس بارتياح شديد، نهض، همّ بالخروج، غير أنه سمع صوت الباب يفتح، تدخل نساء يتحدثن بصوت عال، فتح الباب قليلاً، فقط بما يسمح بترك مجال لمقلتيه، استرق النظر بحذر. مندهشاً:

"يااااه إنهن السيدات الثلاث".

أغلق الباب.

كان صوتهن عالياً، واضحاً، لم يدعن شيئاً دون التطرق إليه وكأنهن في البيت.

"كم هن ثرثارات" قالها بحنق.

نظر إلى ساعته، قال بحسره:

"ياااااه، لم يبق إلا خمس دقائق على الاجتماع".

تمنى أن لا يطول بقاؤهن أكثر من ذلك، غير أن ذلك الأمر بدا بعيد المنال،

"بقيت ثلاث دقائق، الوقت يمضي سريعاً"، قالها بقلق.

الباب يفتح مجدداً.

تدخل سيدة أخرى، يرمقها من خلف الباب، بدهشة أيضاً:

"يااااه إنها زميلتي، يبدو أنها قد حسمت أمر الساعة".

تابع بسخرية:

"لم تكن تأبه لموعد الاجتماع، تتأخر دائماً، تريد أن تلفت النظر إليها، أمممم، أصبحن أربعاً والاجتماع بدأ منذ دقيقتين".

دخلت زميلته في الحوار مع السيدات الثلاث، لم يكن هذا مهماً له بقدر ما أحس بالضيق وهو محبوس داخل دورة مياه السيدات، تمتم:

"كيف سيكون وضعي لو علمت تلك السيدات

بوجودي هنا؟ هل سيصرخن؟ هل للوضع تطورات أكبر من مجرد الصراخ؟ الصراخ يهون، ماذا لو روت زميلتي ما حدث بعد رؤيتها لي أخرج من دورة مياه السيدات؟ كيف سيكون منظري في الاجتماع؟ لا لا، لا أريد أن أفكر في هذا الموضوع، بل لا أريد أن أفكر بهذه الطريقة، سيخرجن من دون وقوع أي ضرر لي أو لهن، هو كذلك، هكذا يجب أن تكون طريقة تفكيري، تفاؤلية، نعم، تفاؤلية".

مرّ ربع ساعة، وهو حبيس موقعه، العرق يزداد هطلاً وهو كالتمثال، لا يستطيع أن يتحرك كي لا يصدر صوتاً يفضحه، بينما لا تزال الأحاديث النسائية قائمة بشكل يكبر كفقاعة الصابون، كن يتطرقن إلى موضوع الأشباح والسحر.

فجأة، صدح صوت أغنية من هاتفه النقّال معلناً قدوم مكالمة (هلا بالطيب الغالي... عزيز وشوفتك منوه)، حاول أن يُسكت ذلك الصوت

سريعاً لكن صراخ السيدات وهن يهربن خارجاً كان أسرع.

كان الاتصال قادماً من أحد المهندسين في الاجتماع، لم يكن مهماً من أين أتى ذلك الاتصال، المهم الآن أن يتصرف بسرعة.

فتح الباب قليلاً، نظر يميناً وشمالاً، لم يكن هناك أحد، أطلق ساقيه للريح، عندما أصبح بعيداً عن مرمى الحدث، أبطأ في مشيته، طبع على ملامحه البراءة وكأن ما حدث لم يكن هو المتسبب بوقوعه!

في الاجتماع كان الجميع يتحدثون - كما الحال دائماً - عن أمور المجمع وسبل تطويره، دخل وقدم اعتذاره معللاً الأمر بأنه ظرف طارئ خارج على إرادته، لم يبد أحد من الجالسين رضاه كما لم يُعقّب أحد على ما قاله، اتخذ مكانه المعتاد وجلس بهدوء.

راح يجوب بناظريه الموجودين، استغرب عدم

وجود زميلته، خالجه شعور بالضحك وهو يتذكر صراخها وهي تفر من دورة المياه مخلّفة وراءها ما جعلها تطيل الوقوف خلف نافذة المحل حائرة.

بدأ الملل يساوره من حديثهم، غير أن أمراً كان لا بد من التطرق إليه، ألا وهو دورة مياه الرجال!

طلب الإذن بالحديث، سمح له، نهض، بدأ يتكلم على أهمية دورة المياه والعناية بها، كان كلامه قاسياً وحاداً حين أخبرهم أنه وأثناء تجواله في المجمع لاحظ أن دورة مياه الرجال في الطابق الثالث مغلقة، راح يلوم ويتأفف من اجتماع لا يستطيع أن يسيطر على مشكلة بسيطة، وأنه لا بد من الإسراع في إصلاح دورة المياه، وطالب بإلحاح بأن هذا الأمر يجب أن يكون أولى التوصيات في هذا الاجتماع.

استغرب جميع الحضور طريقته في الكلام غير

المبررة، فهم لم يعتادوه بهذه الحماسة والاندفاع! ومن اجل ماذا؟ دورة مياه!

لم يلحظ دخولها، كان في أوج انفعاله وحماسته، توقف يبلل ريقه بقليل من الماء، لاحظ انشغالها بشيء تخفيه تحت الطاولة، فجأة قطعت حبل الصمت نغمة موسيقية:

(هلا بالطيب الغالي ... عزيز وشوفتك منوه).

نظر إلى شاشة هاتفه النقال، أشاح بوجهه سريعاً وراح يرمقها وهي تعلو محياها ابتسامة خبث.

تطورات أسئلة

أمور كثيرة، غريبة، تحدث هنا وهناك!
الجميع ينظرون إليها - الجميع تقريباً - ويتفاعلون معها بشتى الأنواع، كلٌ بحسب مقدرته وأحيانا مزاجيته.
كذلك كنت إلى وقت ليس ببعيد، لا أتصور أن يأتي عليّ وقت أتوقف فيه، أو حتى أن أفكر في التوقف.
تبلّد غريب في المشاعر! هل وصلت إلى هذا الحد من اللامبالاة بما يدور حولي؟

أتذكر حينما كنت طفلاً، كيف كنت أغدق على والديّ بالكثير من الأسئلة، وكانا معظم الأوقات

يضيقان ذرعاً بفضولي وأسئلتي التي لا تنتهي عند معرفة الإجابة، فعندي الإجابة تجر إلى سؤال جديد.

في إحدى المرات، زارنا ضيف، هو صديق والدي أيام الدراسة، ولم يكن والدي يخشى من أمور الضيافة غيري، أقصد هنا أسئلتي، كان كثيراً ما يأمرني بإحضار كذا، أو عمل كذا، ليس لشيء، بل لإبعادي عن صديقه فقط، وقد انطلت عليّ خطته ووقعت في شباكها فكان له ما أراد، إلا أن الأمر غير المتوقع، والذي لم يكن في حسبان والدي ولي أنا أيضاً، هو أن يناديني صديقه ويضعني في حجره.

لقد "جنت على نفسها براقش"، هكذا قال له والدي وهو يضع يده على رأسه متحسّراً.

لم أر ذلك الضيف من بعدها!

بعد أن كبرت وأصبحت شاباً يافعاً، تطورت أسئلتي، صارت أكثر تحديداً ودقة.

طبعاً، اتسعت دائرة ضحاياي فشملت الأقارب، الأصدقاء، الأساتذة و.......... الخ

كنت في عنفواني، وكذلك كانت مبادئي، لم يكن للإجابات ذلك التأثير القوي عليها كما السابق، بل كنت أحاول أن أحوّر الإجابات وأُدخل تعديلاً عليها كي تتوافق مع أهوائي.

حتى حينما كنت أعلم أن الإجابة صحيحة، وأنني على خطأ، أتشبث برأيي حتى الرمق الأخير.

في إحدى السنين، في مسابقة الجامعة، كنا فريقاً مكوناً من ثلاثة، نمثل قسمنا العلمي، وكان التنافس على أشدّه في المراحل النهائية، وكان يستهويني التنافس ويعيـّشني في نوع من اللذة ما زلت لا أفهمه، ليس هذا محوراً للحديث الآن، كان السؤال، وكانت الخيارات الثلاثة هي التي

تفصلنا عن الفوز على الفريق الخصم، لم يكن أحد منا يعرف الإجابة بشكل مؤكد وحاسم، غير أن أحدهما - أقصد هنا أحد أعضاء فريقي - كان يشك في أن الإجابة الأولى هي الصحيحة، وقد حاول أن يقنعنا بها لكوننا لا نعرف شيئا عن الخيارين الآخرين، وافقنا على مضض بيد أنني قلت له واثقاً:

إذا خسرنا، سوف أقلب الطاولة عليهم.

لم يفهم كلاهما ما كنت أعني، وقد كان ما توقعت، لم أسكت، وقفت وهتفت بأعلى صوتي:

"الإجابات الثلاث خاطئة".

لحظة صاعقة مرت لثوان وسط أوجه مشدوهة، انفجر بعدها الجميع ضاحكين بسخرية بمن فيهم زميلاي في الفريق، لم آبه وازددت عناداً، صرخت بحنق:

"نعم جميعها خاطئة، جميعها".

مازلت أتذكر كم كنت أحمق في هذا الموقف،

وبمثل هذا التصرف، بادئ الأمر كنت حين أتذكره أشعر بالخجل، شيئا فشيئا انقلب هذا الخجل إلى ابتسامة وقهقهة لجهل كنت أعيش وأتشدق به.

الآن وبعد أن أشرفت على نهاية العقد الثالث من العمر، لم تعد تستهويني لعبة الأسئلة، بل غدوت أهابها وأتحاشى السقوط في مداراتها، حل محلها المرونة، الصمت، والتفكّر، مما دفعني إلى المزيد من الانغلاق والعزلة.

كان في البدء، الكثير من الأسئلة، ثم العنفوان والتمسك بالمبادئ وأخيراً العزلة المطبقة نتاجاً مفروضاً هنا..........................

في السجن.

المحتويات

السيرة الذاتية

**** حميدي حَمود المطيري**

* قاص وكاتب روائي
* بكالوريوس الهندسة الميكانيكية من بريطانيا
* أستاذ بكلية الدراسات التكنولوجية
* عضو سابق مجلس إدارة رابطة الأدباء الكويتية
* عضو اللجنة الإعلامية في رابطة الأدباء الكويتية
* عضو منتدى المبدعين في رابطة الأدباء الكويتية
* عضو جمعية المهندسين الكويتية
* نشر في الصفحات الثقافية في العديد من الصحف الكويتية
* حاز جائزة أحمد الحمد للإبداع الشبابي ٢٠٠٧ المركز الأول
* أقام أمسية قصصية في رابطة الأدباء ٢٥ إبريل ٢٠٠٧
* أقام أمسية قصصية في دولة البحرين ٢٢ مارس ٢٠٠٩

**** صدر للكاتب:**

* **ظلي** ــ قصص ــ الطبعة الأولى دار الفارابي بيروت ٢٠٠٧
الطبعة الثانية ــ دار سندباد للنشر والإعلام القاهرة ٢٠١٠

**** تحت الطبع:**

* إبهام ــ قصص قصيرة

الموقع الإلكتروني: www.hameady.net

البريد الإلكتروني: hameady@gmail.com

قائمة إصدارات سندباد للنشر

١ ــ بالوظة ــ فؤاد حسين ــ مصر ــ قصص
٢ ــ المايسترو ــ محمود ماهر زيدان ــ مصر ــ قصص
٣ ــ الرقص تحت المطر ــ حسن البقالي ــ المغرب ــ قصص
٤ ــ الولد الذي تخطى السور ــ جهاد الرملي ــ مصر ــ قصص
٥ ــ كأس بيرة ــ سهيلة بورزق ــ الجزائر/ أمريكا ــ قصص
٦ ــ رجل مجنون، هل فعلا أحبه؟! ــ فادية إبراهيم ــ مصر ــ قصص
٧ــ للعشق وجه آخر ــ فوزية دياب ــ مصر ــ شعر
٨ ــ مطعم اللحم الآدمي، يرحب بكم/ الحسن بنمونة/ المغرب/ قصص
٩ ــ طوفان ــ إسماعيل البويحياوى ــ المغرب ــ قصص
١٠ ــ شاطئ الحنين ــ عزة دياب ــ مصر ــ قصص
١١ ــ دعوة للحب ــ فوزية دياب ــ مصر ــ شعر
١٢ ــ ترانيم الغروب ــ فوزية دياب ــ مصر ــ شعر
١٣ ــ العزف على أوتار الألم ــ فوزية دياب ــ مصر ــ شعر
١٤ ــ درة الشرق ــ فوزية دياب ــ مصر ــ شعر
١٥ ــ بأسنة الرماح ــ شوقي مسلماني ــ لبنان/ أستراليا ــ قصص
١٦ ــ النقش بالحناء ــ حنان كوتاري ــ المغرب ــ قصص
١٧ ــ إلي رجل قد يأتي ــ روزمين الصياد ــ السودان ــ شعر
١٨ ــ عشيقة عرابي ــ محمد السنباطى ــ مصر ــ رواية
١٩ ــ مقهى قدوس حنين ــ رضا عودة ــ مصر ــ رواية
٢٠ ــ قواعد الميراث ــ إبراهيم نسيم ــ مصر ــ دراسة
٢١ ــ مرايا الغروب ــ فوزية دياب ــ مصر ــ شعر

٢٢ ـ مسافرة للصمت ـ فوزية دياب ـ مصر ـ شعر
٢٣ ـ زينب وأخواتها ـ فاطمة فوزي ـ مصر ـ قصص
٢٤ ـ أرض الميت ـ هشام آدم ـ السودان ـ رواية
٢٥ ـ أنهار لا تعرف الخوف ـ جمال مرسي ـ مصر ـ شعر
٢٦ ـ اعترافات الورد والشوك ـ إيهاب سلام ـ مصر ـ رواية
٢٧ ـ أجنحة صغيرة ـ سمية البوغافرية ـ المغرب ـ قصص
٢٨ ـ إعصار الحب ـ حمدي الهواري ـ مصر ـ شعر
٢٩ ـ أزمنة الرحيل ـ صلاح خليفة ـ السودان/ أمريكا ـ شعر
٣٠ ـ بنات الخرطوم ـ سارة منصور ـ السودان/ أمريكا ـ قصص
٣١ ـ نور في بداية النفق ـ لمي منير ـ العراق ـ قصص
٣٢ ـ التي في خاطري ـ حسن حجازي ـ مصر ـ شعر
٣٣ ـ إفلاس دولت ـ أماني الشرقاوي ـ مصر ـ قصص
٣٤ ـ قراءة في أبجديات مغتربة ـ صالح الهنيدى ـ السعودية ـ شعر
٣٥ ـ وطن اسمه آفيفان/ بدل رفو المزورى/ كودرستان العراق/ شعر
٣٦ ـ ترانيم للشوق والعذاب ـ أحمد فتحي ـ مصر ـ شعر
٣٧ ـ عيون الفجر الزرقاء ـ إدريس الجرماطى ـ المغرب ـ رواية
٣٨ ـ حبيبتي تفتح بساتينها ـ محمود قحطان ـ اليمن ـ شعر
٣٩ ـ بيت فنانة ـ صفاء عبد المنعم ـ رواية ـ مصر
٤٠ـ اللجوء السياسي..الملف الأسود/ سارة منصور/ قصص/ السودان
٤١ ـ مِعْرَاجٌ لِسَمَاءٍ تَحْتَرِقُ ـ تُقى المُرسِي ـ مصر ـ شعر
٤٢ ـ أسرار الليل ـ إدوارد فيليبس ـ مصر/ أمريكا ـ قصص
٤٣ـ ليلة الحب الأخيرة ـ محمد الكاشف ـ مصر ـ قصص
٤٤ـ أمريكاني من حي الزبالين/ إدوارد فيليبس/ مصر/ أمريكا ـ مسرحية
٤٥ـ الطافش ـ حسن الجوخ ـ مصر ـ مجموعة قصصية
٤٦ـ طلّي ثريات البشارة ـ وحيد عبد الخالق راغب ـ مصر ـ شعر
٤٧ـ عُصنغص ـ فرج محمود ـ مصر ـ رواية

٤٨ــ الآباء ليسوا ملائكة ــ زهرة جقريف ــ الجزائر ــ رواية

٤٩ــ مثل فيل يبدو عن بعد/ حسن البقالي/ المغرب/ قصص قصيرة جدًا

٥٠ــ فساتين النشوة ــ أماني الشرقاوي ــ مصر ــ رواية

٥١ــ القاغيش ــ محمد البلبال بوغنيم ــ المغرب ــ قصص

٥٢ــ أستميحك وردًا ــ سامي العامري ــ العراق/ ألمانيا ــ شعر

٥٣ــ تأملات قزح ــ عبد ربه أسليم ــ غزة/ فلسطين ــ شعر

٥٤ــ البحث عن نيرمانا بأصابع ذكية ــ شريف الشافعي ــ شعر ــ مصر

٥٥ــ أيام الراقصة صوفي ــ محمود ماهر زيدان ــ رواية ــ مصر

٥٦ ــ اختفاء مريم ــ داليا محمد رضا ــ رواية ــ مصر

٥٧ــ نقش على جدار الذكريات ــ ماجد الملاذي ــ شعر ــ سورية

٥٨ــ خيري عبد الجواد..القابض على الحكايات/ دراسة/ شوقي عبد الحميد

٥٩ــ وجدان وأشلاء دمى ــ خالد أقلعي ــ قصص ــ المغرب

٦٠ــ الموت والميلاد ــ د. نزار الجبوري ــ شعر ــ العراق

٦١ــ فكرة واحدة صالحة للدور الأرضي/ عواض العصيمي/ قصص/ السعودية

٦٢ــ قوارب بيضاء ــ عبد الجبار خمران ــ قصص ــ المغرب/ فرنسا

٦٣ــ النهر الأول قبل الميلاد ــ سامي العامري ــ شعر ــ العراق/ ألمانيا

٦٤ــ زفرات الضياع ــ سامر مسعود ــ قصص ــ فلسطين / أمريكا

٦٥ــ المواطن الفاسد ــ عبد الرحمن المولّد ــ قصص ــ اليمن

٦٦ــ يوميات الحرب والموت..غزة تحترق/ غريب عسقلاني/ غزة / فلسطين

٦٧ــ رسائل الندى ــ ندى الرشيد ــ شعر ــ السعودية

٦٨ــ امرأة التابو ــ سعد الحجي ــ شعر ــ العراق

٦٩ــ المكيدة الكبرى ــ أسامة أبو خشبة ــ مسرحية ــ مصر

٧٠ــ الحب الممنوع ــ فتحي أمين ــ شعر غنائي ــ مصر

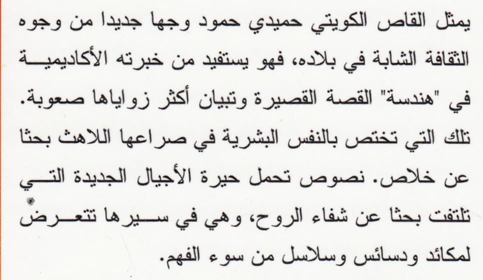
٧١ــ سيمفونية وادي الظلال ــ وائل رداد ــ رواية ــ الأردن/ الإمارات

٧٢ــ نتوءات قوس قزح ــ مصطفي عطية جمعة ــ رواية ــ مصر

٧٣ــ الرقص مع الذئاب ــ نور الغادي ــ مسرحية ــ مصر

٧٤ــ الطريق إلى أبيدوس ــ نبيل حامد ــ قصص ــ مصر
٧٥ــ أعراض حفاوتى بالزنبق ــ سامى العامرى ــ شعر ــ العراق/ ألمانيا
٧٦ــ شد الحزام يا عنترة ــ عماد الخطيب ــ شعر عامية ــ مصر
٧٧ــ دمعة متعرجة ــ قصص قصيرة جدا ــ عبد ربه أسليم ــ غزة/ فلسطين
٧٨ــ مديح الغفلة ــ رواية ــ رضا عودة ــ مصر
٧٩ــ غواية الصمت ــ قصص ــ وائل وجدى ــ مصر
٨٠ــ سبع حالات للوردة ــ قصص مشتركة ــ هناء القاضى/ غريب عسقلانى
٨١ــ رشح الحنين ــ قصص ــ منى الشيمى ــ مصر
٨٢ــ ظلى ــ قصص ــ حميدى حُمود ــ الكويت
٨٣ــ الخائفون ــ شعر ــ حسين حرفوش ــ مصر
٨٤ــ إنى أحبك هكذا ــ شعر ــ دينا عاصم ــ مصر
٨٥ــ مشاهدات ــ قصص قصيرة ــ الحسن ملوانى ــ المغرب
٨٦ــ همسات نافذة ــ قصص ــ نورا محمد بوغيث ــ الكويت
٨٧ ــ جمال الروح.. البحث عن السعادة ــ مقالات ــ منى لقمان ــ اليمن
٨٨ــ يوميات عبده المغلوب على أمره ــ أحمد عدلى رزق ــ السعودية
٨٩ــ سامحينى ــ شعر غنائي ــ د. مجدى إمام ــ مصر
٩٠ــ اللُحمة والسداة ــ نقد أدبي ــ د. مصطفي عطية جمعة ــ مصر





هذا الكتاب

يمثل القاص الكويتي حميدي حمود وجها جديدا من وجوه الثقافة الشابة في بلاده، فهو يستفيد من خبرته الأكاديمية في "هندسة" القصة القصيرة وتبيان أكثر زواياها صعوبة. تلك التي تختص بالنفس البشرية في صراعها اللاهث بحثا عن خلاص. نصوص تحمل حيرة الأجيال الجديدة التي تلتفت بحثا عن شفاء الروح، وهي في سيرها تتعرض لمكائد ودسائس وسلاسل من سوء الفهم.

القصة عند الكاتب تنهض على حدث محوري يتكئ على مجموعة محددات تقبض على عنصري العجز والإرادة. والنصوص بها مسحة تعبيرية لكنها تميل للواقع بعد تخليصه من ثرثرات كثيرة لا لزوم لها. تكاد تشعر وأنت تقرأ نصوصه بانكسارات قلوب شابة، تبحث عن يقين، وعن سوء طالع قد يتبدى في تفسير خاطئ لفعل أنثوي أو لارتباكات تسود الحياة أو حلم معلق في الفراغ؛ فكأن القصة عنده تعود إلى انكسار شخوصها وعدم قدرتهم على الإبانة والإفصاح، وهو بهذا المنحى يقترب من فكرة التعبير عن مصاعب الحياة وانكساراتها، وهو يقدم هذا في شكل فني جميل، ينم عن موهبة حقيقية لا شك فيها.

سمير الفيل

قاص وروائي مصري



